أنا خائفة

تأليف: د.سناء علي الحركه
رسم: حاتم علي



إلى علي الصّغير أكتب لأقول : اشتقت إليك .

الإهداء : إلى أبي الَّذي أفتقده كثيرًا ، وأشتاقُ إليه كثيرًا كثيرًا .

سناء

أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2012
ISBN: 978-614-402-509-3
تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان
infos@asala-publishers.com

أنا خائفة

تأليف

د. سناء علي الحركه

رسم

حاتم علي

المقدِّمة

هل حصلَ أنْ استقْوى عليكَ أحدُ الطُّلابِ في المدرسة ؟

يَحصلُ هذا كثيرًا، وبأشكالٍ مختلفة. فهناكَ طلابٌ مُسْتَقْوونَ يُضايقونَ غيرَهم، ويُزعجونَهم بتصرُّفاتٍ عِدائيَّة ، فيأخذونَ أغراضَهم الشَّخصيّةَ، أو يَنشرونَ أخبارًا عنهم قد لا تكون حقيقيَّةً. طلابٌ يَعتقدونَ أنَّ لهم الحقَّ في تَـجاوزِ المبادئِ الإنسانيَّةِ، فيُسيؤونَ معامَلَةَ الآخرينَ، أو يَسخرونَ منهم أمام الجميع فَيَجرحونَ مشاعِرَهُم، أو يُلحقونَ بِهم الأذى الجسديَّ فيضرِبونَهم أو يركُلونَهم أو يدفعونَهم على الأرضِ من دون أيِّ احترامٍ للقوانينِ المدرسيَّة، أو القِيَمِ الأخلاقيَّةِ .

وإذا كانَ التَّعرُّضُ للأذى النّفسيِّ أو الجسديِّ من طلاَّبٍ مُسْتَقوينَ مشكلةً، فإنَّ المشكلةَ الأصعبَ هي في كيفيَّةِ مواجهتِهِ. فهل نَردُّ الأذى بأذًى أكبر بدافعِ الغضبِ أو الانتقامِ؟ أم نَلجأُ لطلبِ المساعدةِ من شخصٍ راشد أو مسؤول؟ أم نصمتُ ونَهربُ سامحين للخوفِ من المستقوين أن يـمنعَنا من حلِّ المشكلة ؟

سأروي لكم ما حصلَ معي، على الرُّغم من أنَّني لا أعرفُ حُكْمَكُم على ما قمْتُ به: أخطأ هو أم صواب؟ ولكن، وقبل أن تـحكموا، أرجو أن تَضعوا أنفسَكم مكاني، وتُـحاولوا أن تَشعروا بِـما شعرْتُ به، على مرارَتِهِ، كي يَكونَ حُكْمُكُم عادلاً .

الفصل الأوَّل: إلى ملاك رسائلُ سلام

اسمي «ملاك»، وأنا طالبةٌ في السَّنةِ الابتدائيَّةِ السَّادسةِ. أمِّي امرأةٌ عاملةٌ، تُديرُ مصرفًا من مصارفِ المدينةِ، وتُسافرُ كثيرًا لتَحضرَ مؤتـمراتٍ، وتُشاركَ في اجتماعاتٍ. أمَّا أبي فيعملُ في مؤسَّسةٍ تَهتمُّ



بالتّوعيةِ على حقوقِ الإنسانِ، وضرورةِ تطبيقِها في حياتِنا اليوميَّةِ. وكم كنتُ أُحبُّ أن أجلسَ لأُصغيَ إلى أبي وهو يَتحدَّثُ مع زوَّارِنا ، لأنَّ كلَّ المواضيعِ تَقودُهُ للحديثِ عن هذه الحقوقِ الَّتي حفظْتُها تـمامًا كما أحفظُ اسمي. وكيف لا؟ وقد كانت هذه الحقوقُ جزءًا لا يَتجزَّأُ من رسائلِهِ إليَّ، هذه الرّسائلُ الَّتي لم أكن أعرفُ يومًا أنَّها ستُسبِّبُ لي مشكلةً كبيرةً، وكبيرةً جدًّا.

فقد اعتادَ أبي أن يتركَ لي كلَّ صباحٍ رسالةً خاصَّةً في حقيبةِ طعامي. وما إن يُدَقُّ جرسُ الاستراحةِ، حتَّى أُسارعَ لأفتحَ الحقيبةَ، لا لآكلَ، بل لأقرأَ ما كتبَهُ لي.



تَـحملُ رسائلُ أبي الشَّكلَ نفسَهُ. عبارةُ الخطاب: « ملاكي ». لينتقلَ بعدها إلى كتابةِ جملةٍ لا تَتعدَّى السّطرَ الواحدَ. جملةٌ هي إمَّا تعليقٌ على قصَّةٍ سَمِعَها منِّي في المساءِ، وإمَّا جوابٌ عن سؤالٍ طرحْتُهُ عليه، وطلبَ منِّي أن أُفكِّرَ بِه أو أبحثَ له عن جوابٍ. ولكنَّ كلَّ ما كان يَكتُبُهُ يَنبعُ من حقٍّ من حقوقِ الإنسانِ، أو يَصبُّ فيه. ويُنهي الرِّسالةَ بعبارةِ الختام : « حتَّى نلتقي، لِـملاكي ألفُ تَـحيَّةِ سلام».



لقد كان أبي مؤمنًا بأنَّ السَّلامَ يَجبُ أن ينبعَ من أعماقِنا كي ينتشرَ من حوْلِنا. فكثيرةٌ هي رسائلُهُ الَّتي كان يدعوني عبر سطورِها لأنظرَ وأسمعَ وأحكيَ بسلامٍ، وألامسَ الأشياءَ وأُصافحَ النَّاسَ بسلامٍ، وأُحبَّ وأُفارقَ بسلامٍ. وكثيرًا ما كنتُ أفهمُ من رسائلِهِ تلك

أنَّهُ يدعو حواسِّيَ لِتُدرِّبَ نفسَها على حُسْنِ الاختيارِ. ويدعو عقلي ليكونَ منفتحًا قادرًا على تقبّلِ الاختلافِ، والتَّعاملِ معه باحترامٍ. ويدعو قلبي ليكونَ عادلاً في مشاعرِهِ وأحكامِهِ. ويدعو الإنسانَ داخلي لاحترامِ النِّظامِ، والتَّقيُّدِ بالقوانينِ الَّتي ستَحميني وتُجَنِّبُني الدُّخولَ في حربٍ مع نفسي أو مع الآخرينَ.

طبعًا، لا يُمكنُ لأيٍّ كان أن يَتصوَّرَ مدى سعادتي بتلك الرَّسائلِ، أو مدى تأثيرِها عليَّ. فقد كانت تَمُدُّني بكلِّ ما أحتاجُ إليه من مشاعرِ الحبِّ والرَّاحةِ والأمانِ في الفترةِ الَّتي أكون فيها خارجَ البيتِ. هذا البيتُ الَّذي ما كنتُ أخرجُ منه حتَّى أشتاق للعودةِ إليهِ.

وبقيت هذه الرَّسائلُ مصدرَ سعادتي إلى أن انتبَهَ «راشد»، وهو واحدٌ من الطّلاّبِ المستقوين، إلى أنّني أنزوي في الملعبِ، وأقرأُ رسالةً أُخْرِجُها من حقيبةٍ يُفترضُ ألاّ يكونَ فيها أقلامٌ أو أوراقٌ، إنَّما طعامٌ وشرابٌ لا غير، وذلك قبل أن أتناولَ طعامي، وأنضمَّ إلى أصدقائي، أتبادلَ معهم الأحاديثَ، أو أُشارِكَهم اللَّعبَ.

فهل يُمكنُ أن تتصوَّروا كيف تَمكَّنَ «راشد»
مِن تَحويلِ سعادتي إلى شقاء؟

الفصل الثَّاني: إنذارٌ وتَهديد بالصَّمت

ذات يومٍ، انتظرَ «راشد» اللّحظةَ الَّتي أخرَجْتُ فيها الرِّسالةَ من حقيبتي لِيَهجمَ عليَّ، ويَسْحَبَها من يدي، ويَركضَ بعيدًا وهو يقرأُ ما كُتِبَ عليها. وفيما أنا ألحقُ به في محاولةٍ لاستردادِ ما أَخَذَهُ منِّي بالقوَّةِ، اصطَدَمْتُ بتلميذةٍ أصغرَ منِّي، وأوْقَعْتُها، من دون قصدٍ، على الأرضِ، ووقعْتُ فوقَها، بعدما فقدْتُ توازني، الأمرُ الَّذي تسبَّبَ بكسرٍ في يدِها، فَنُقِلَتْ إلى المستشفى، واسْتُدعيتُ أنا إلى مكتبِ المديرةِ الَّتي حاولَتِ الاسْتِفْسارَ عمَّا حدثَ، وعن السَّببِ الَّذي جعلَني أركضُ بِهذه



السّرعةِ، مخالفةً القوانينَ والأنظمةَ المدرسيَّةَ، ومن دونِ أن ألحظَ الفتاةَ المسكينةَ الَّتي قادَها حظُّها السَّيِّئُ إلى الظّهورِ في طريقي بعدما أعماني الغضبُ.

الصَّمتُ الَّذي لجأْتُ إليه أدَّى إلى توجيهِ إنذارٍ خطِّيٍّ لي بسبَبِ عدمِ التَّقيُّدِ بقوانينِ المدرسةِ، الأمرُ الَّذي أدَّى إلى إلحاقِ الأذى بالآخرينَ. وطبعًا نَجا «راشد» من عِقابٍ نِلْتُهُ أنا، فهل كان الحكمُ بِحقِّي عادلاً ؟

لَم يكنِ الإنذارُ هو ما أثارَ استغرابَ والدي، وإنَّما صمتي، أنا الَّتي نشأْتُ على التّواصلِ والتّعبيرِ عن أفكاري ومشاعري بجرأةٍ، ومواجهةِ المشكلاتِ واقتراحِ الحلولِ لها. كما نشأْتُ على ممارسةِ حقوقي، ومنها حقِّي في الدِّفاعِ عن نفسي حين أُتَّهمُ بالقيامِ بعملٍ سيِّئٍ.

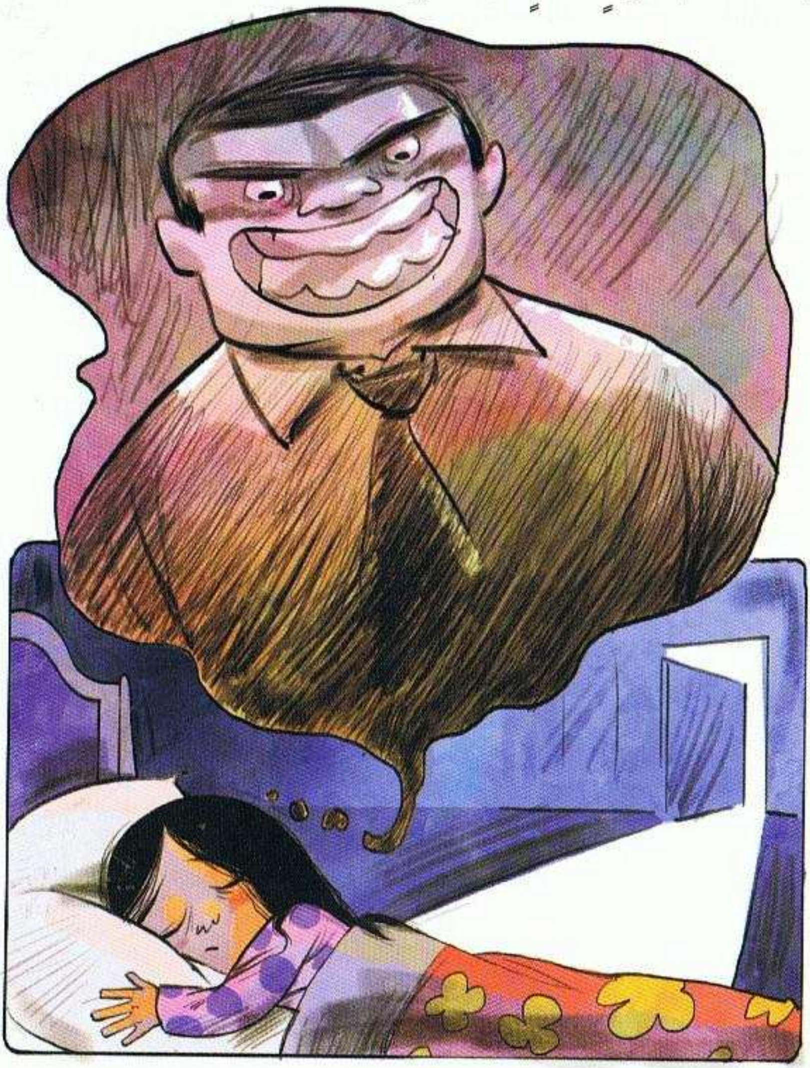


« ما الَّذي حصلَ عندما قُرِعَ جرسُ الاستراحةِ ؟». سؤالٌ طرَحَهُ عليَّ أبي مرَّاتٍ ومرَّات، وقبْلَهُ طرَحَتْهُ عليَّ مديرةُ المدرسةِ، ولم يَجدْ عندي جوابًا. ماذا يُـمكنُ أن أقولَ؟ هل أقولُ له إنَّ «راشد»، الطَّالبَ المستقوي هدَّدَني إنْ أنا بلَّغْتُ عن سوءِ تصرُّفِه معي فسيُخبرُ جميعَ الأصدقاءِ عن السِّرِّ الَّذي عرفَهُ عنِّي؟ وما هو هذا السِّرُّ؟ أنا لا أعرِفُهُ. ولا أعرفُ ما الَّذي كتبَهُ لي أبي في الرِّسالةِ. فأنا، لم أكَدْ أفتحُها، حتَّى سحبَها من بين يديَّ وطارَ بِها. لَمْ يُعْطِني وقتًا كي أقرأَها. هل يُعقلُ أن أسألَ والدي ماذا كتبَ لي في الرِّسالةِ؟ وأيُّ سرٍّ باحَ لي به على الورقِ؟ طبعًا لا، لا يُعقلُ، لأنه عندها سيسأَلُني لـماذا لَمْ أقرأْ ما كتبَ. وإذا أخبرْتُهُ، فسيُخبرُ المديرةَ الَّتي ستُعاقبُ «راشد» الَّذي سيبوحُ بسرِّي الَّذي لا أعرفُهُ. في أيِّ دوَّامةٍ أنا؟ وكيف الخروجُ منها ؟ لا أعرفُ.

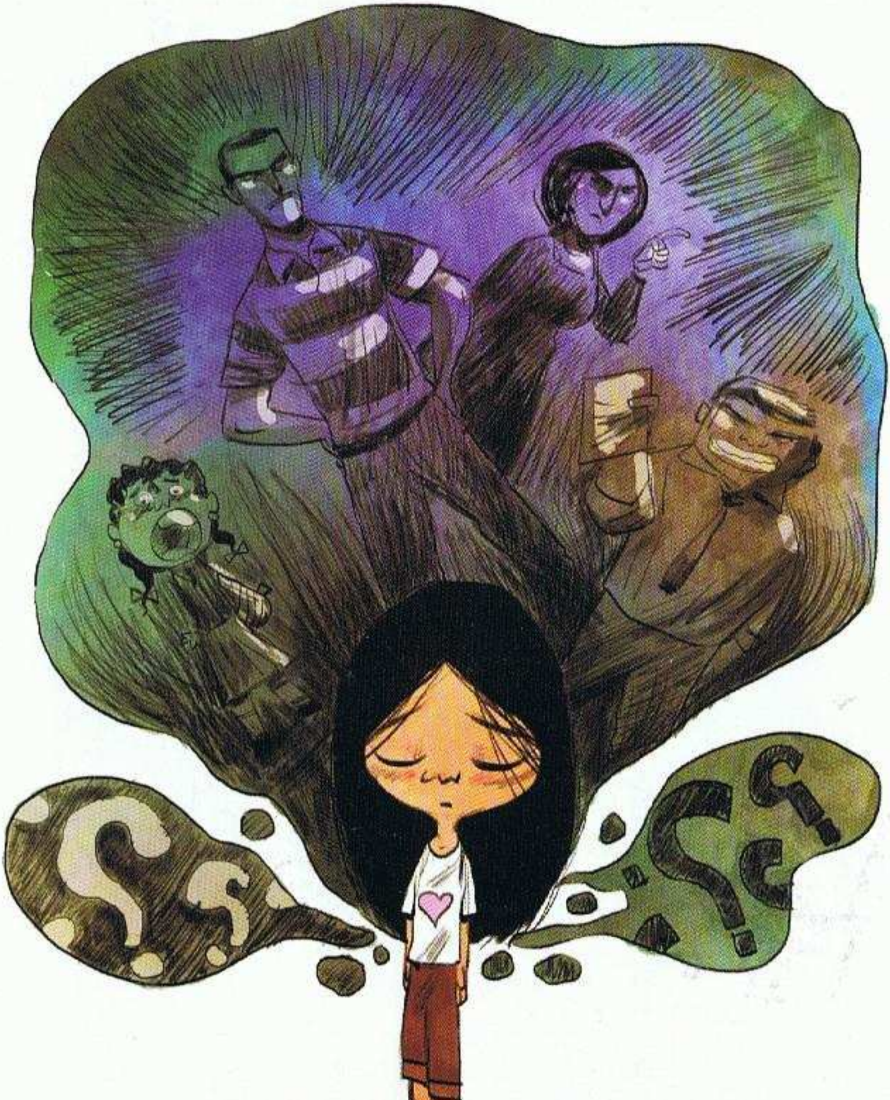
هل كان السّكوتُ ، الَّذي اخترْتُهُ ،
أفضلَ من الصِّدقِ الَّذي خِفْتُ منه ؟

الفصل الثَّالث: مظاهر الاستقواء

لَمْ أنَـمْ ليلَتَها جيِّدًا، ولا في اللّيالي الَّتي تلَتْها. ففي كلِّ مرَّةٍ كان ملاكُ النَّومِ يأخذُني فيها إلى عالَمِ الأحلامِ، كان وجهُ «راشد» يُطالِعُني وهو يضحكُ بصوتٍ عالٍ، ويُنادي الأصدقاءَ قائلاً: « تعالَوْا لأُخْبِرَكُم



ما لا تعرفونَهُ عن ملاكي». ويَتجمّعون، وما إن يفتحُ فمَهُ ليتكلَّمَ حتّى أفيقَ مذعورةً على صوتي يصرخُ به «لا ... لا ... لا ...». ولا أكفُّ عن الصّراخِ إلاَّ عندما أتأكَّدُ أنَّني في المكانِ الأكثرِ دفئًا: حضنُ أمِّي .



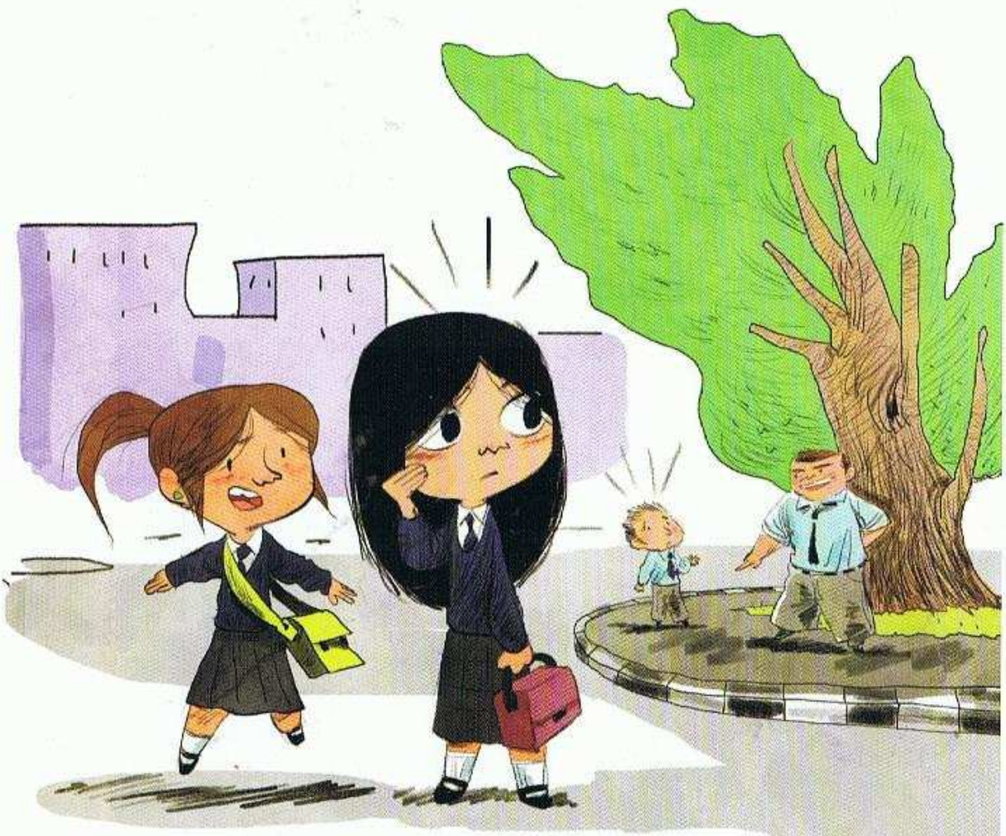
حاولَتْ أمِّي كثيرًا أن تعرفَ لِـما أفيقُ مذعورةً أصرخُ، ولكنَّني لَمْ أُخبرْها كي لا تُخبرَ أبي أنَّني لا أشعرُ بالأمانِ في المدرسةِ. فأنا على يقينٍ أنَّه، وهو من المؤمنينَ بضرورةِ أن يَشعرَ الإنسانُ، صغيرًا أو كبيرًا، بالأمانِ، بعيدًا عن المضايقةِ والتَّهديدِ، لن يَقبلَ أبدًا بأن أشعرَ بالخوفِ بسبَبِ طالبٍ يَستقوي عليَّ وعلى سواي.

ثابرَ أبي على كتابةِ الرَّسائلِ، ولكنَّني توقَّفْتُ عن قراءَتِها في المدرسةِ، بانتظارِ عودتي إلى البيتِ لأقرأَها من دون خوف. فقد كنتُ أحرصُ على البقاءِ ضمن مجموعةٍ من الأصدقاءِ كي لا أُفسحَ في المجالِ أمام «راشد» ليَسخرَ منِّي، أو يُسيءَ إليَّ قولاً أو فعلاً، كما يفعلُ مع غيري. كانت عيناي تراقبانِه دائمًا، وأذناي ترصدانِ ما يقول. رأيتُهُ يتآمرُ على آخرينَ، أصغرَ منه، أو أضعفَ جسديًّا. يَلحقُ بِهم، ويَسخرُ منهم، ويَضحكُ عليهم فيَجرحُ مشاعرَهم.

لم يكن «راشد» يُلحقُ الأذى الجسديَّ بهم بشكلٍ مباشرٍ، لأنَّهُ يَحرصُ على البقاءِ بعيدًا عن العقابِ الَّذي قد يَنالُهُ من النَّاظرِ أو المديرِ. ولكنَّهُ لم يَكن يتردَّدُ بالادِّعاءِ أنَّه، ومن دونِ قصدٍ، ركلَ هذا، أو دفعَ ذاك، أو اصطدمَ بِهؤلاءِ. وبدلَ أن يَعتذرَ عمَّا سبَّبَهُ من مضايقةٍ أو وجعٍ لضحاياهُ، فإنَّهُ يقتربُ منهم، مهدِّدًا إيَّاهم، كما هدَّدَني تـمامًا،

إن هم قدَّموا شكوى بِحقِّه، فإنَّهُ سيجعلُهم يَندمونَ .

وقد لاحظْتُ أنَّ «راشد» يَشعرُ بسعادةٍ كبيرةٍ، ويتصرَّفُ وكأنَّهُ يَحكمُ العالمَ، فقط عندما يبكي الشَّخصُ الَّذي يَستقوي عليه، وذلك لأنَّه، باعتقادِهِ حقَّق ما خطَّطَ له، وهو السَّيطرةُ على الآخرِ، وإلحاقُ الأذى بِه، من دون أن يَلحظَ أيُّ مسؤولٍ يُـمكنُ أن يَـمنعَهُ من القيامِ بهذه الأعمالِ. بكاءُ المستضعفينَ يَجعلُ سوءَ تصرُّفِ «راشد» يَزدادُ،



مُظهرًا استمتاعًا بِـما يَقومُ به، هو وأصدقاؤه الَّذين يُجبرُ البعضَ منهم على القيامِ بأفعالٍ لا يريدون حقًّا القيامَ بِها. والأصدقاءُ الَّذين يَشهدون ما يَحصلُ من حولِهم لا يريدون أن يتورَّطوا، ولذا تَـمرُّ حوادثُ الاستقواءِ من دون أن يُبلِّغَ أحدٌ عنها. فأنا نفسي لا أقوى على الإبلاغِ عمَّا أراهُ وأسمعُهُ كي لا يَلحقَ بي الأذى، كما لا أجرؤ على التَّبليغِ عمَّا حصلَ معي لأنَّني أخجلُ من الاعترافِ بأنَّني أتعرَّضُ للاستقواءِ، فصورةُ المسْتَقْوى عليها تُسبِّبُ لي حرجًا وضيقًا شديدَيْنِ، ولكنَّني لا أجدُ وسيلةً للتَّخلُّصِ منها.

ما هي أفضلُ الوسائلِ للتَّعاملِ مع المستقوين،
والتَّخلُّصِ من الاستقواءِ؟



الفصل الرَّابع: قرار الانتقام

ما كادَ السّؤالُ يَشغلُني حتّى وقعَ نظري على هاتفِ «راشد» الخلوي، مرميًّا إلى جانبِ مقعَدِهِ، من دون أن يَلحظَهُ أحدٌ سواي. ووجدْتُ يدي تَـمتدُّ لتلتقطَهُ وتُخفيَهُ في حقيبتي. لم أكن راغبةً في سرقةِ الهاتفِ. كنتُ أرغبُ في الانتقام من «راشد» وجعلِه يشعرُ ولو بقليلٍ مِـمَّا يُشْعِرُنا به دائمًا من قلقٍ وتوتّرٍ وخوفٍ. لقد كانت الإدارةُ واضحةً في تعليماتِها، فمن سيأتي بِهاتِفِهِ إلى غرفةِ الصَّفِّ سيُطردُ من المدرسةِ. و«راشد» الَّذي يَعتبرُ نفسَهُ فوق القانونِ صارَ مُهدَّدًا باسمِ القانونِ، ويَجبُ أن يُطردَ من المدرسةِ. ولكن هل حقًّا أريدُهُ أن يُطردَ لأنَّهُ لم يتقيَّدْ بقوانينِ المدرسةِ ، أم لأنَّني أريدُ أن أنتقمَ منه لأنَّهُ يستقوي علينا ويُلحقُ الأذى بنا ؟

انتبهَ «راشد» إلى أنَّه فَقَدَ هاتفَهُ. وراحَ يَبحثُ، ولكنَّه لم يكن قادرًا على أن يَسألَ عنهُ بصوتٍ عالٍ كي لا تَسمعَهُ المعلِّمةُ. شعرْتُ بالفرحِ وأنا أرى ملامحَ التَّوتّرِ والغضبِ في عيني «راشد» الَّذي حاولَ أن يُنقِّلَ نظرَهُ بيننا بَحْثًا عمَّن تَـجرَّأَ على التَّصرُّفِ معه بالطَّريقةِ نفسِها الَّتي يَتصرَّفُ بِها. وخَجِلْتُ من شعورِ الفرحِ الَّذي خِفْتُ أن يَظهرَ على



وجهي، ويَكشفَ فعلتي، ويوقعَني في مشكلةٍ أنا لا أريدُ الوقوعَ فيها، إذْ قد لا يُلامُ «راشد» على تَـجاوزِه القوانينَ والأنظمةَ، في وقتٍ أُتَّهمُ فيه أنا بالسَّرقةِ .

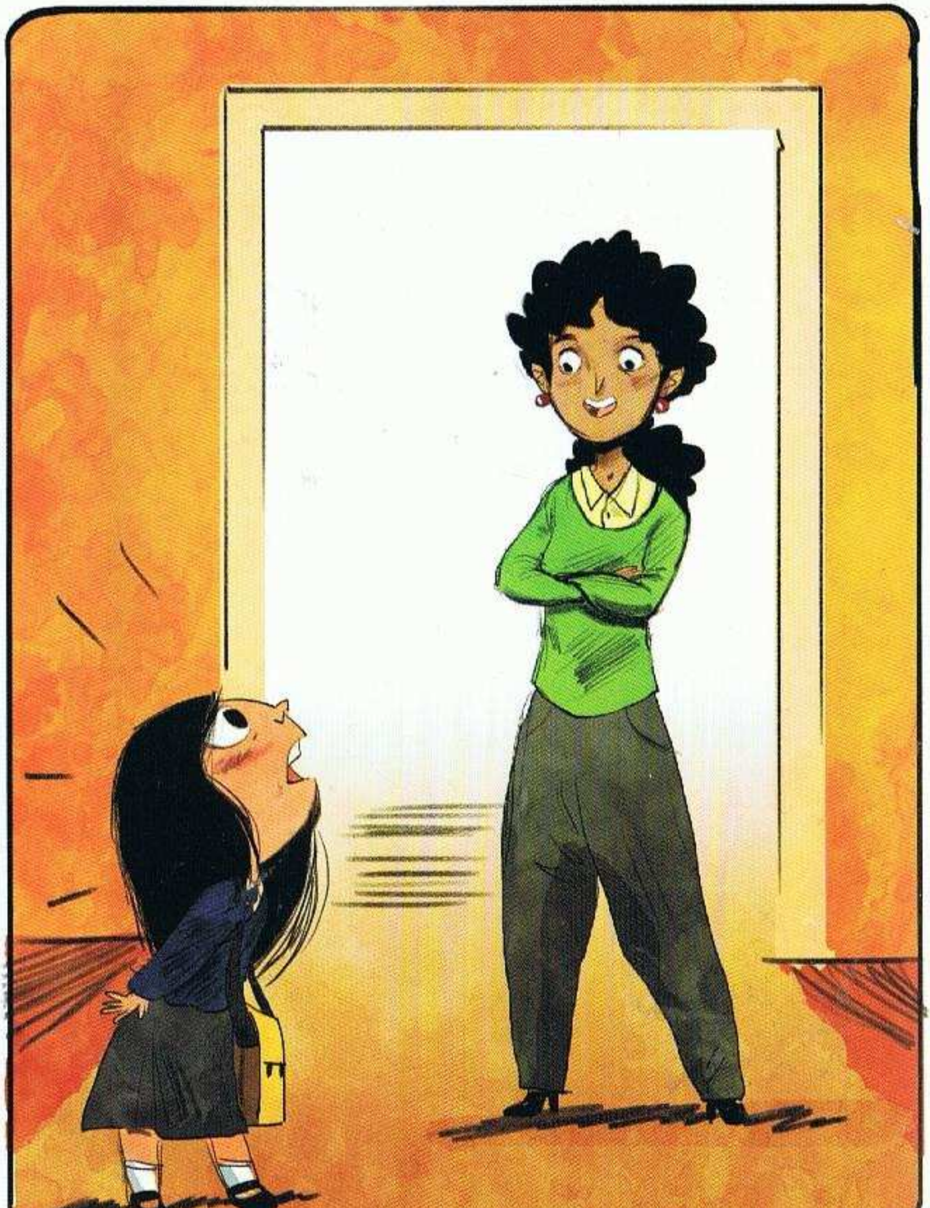
لكنَّ الغريبَ، أنَّ شعوري بالفرحِ ما لبثَ ان انقلبَ توتّرًا، وذلك عندما تذكَّرْتُ ما قالَتْهُ لنا المعلِّمَةُ عندما عرَّفَتْنا بدايةَ العامِ الدِّراسيِّ بطالبٍ جديدٍ انتقلَ إلى مدرسَتِنا بَحثًا عن أصدقاءَ جدد، وتـمنَّتْ علينا أن نُرحِّبَ به بيننا ونُعامِلَهُ بلطفٍ كي لا يشعرَ بأنَّهُ غريبٌ عنَّا، إنَّه «راشد». شعرْتُ بالتّوتّرِ لأنَّني أبدًا لَمْ أسألْ نفسي لِمَ تركَ «راشد» مدرسَتَهُ القديـمةَ وانتقلَ إلى مدرسَتِنا ؟ هل تعرَّضَ للاستقواءِ هناك؟ وإذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ يُـمارسُ علينا الاستقواءَ ؟ أَليحمي نفسَهُ منَّا يُسيءُ إلينا ؟ وكادَتْ أسئلتي تَدفعُني لفهمِ دوافعِ «راشد»، على الرُّغم من عدم موافقتي عليها.

هل أنا في مشكلة ؟ سؤالٌ كنتُ أودُّ أن أطرحَهُ على نفسي، ولكنَّني لم أفعلْ، لا لأنَّني كنتُ في عجلةٍ من أمري، بل لأنَّني كنتُ خائفةً من الجوابِ، ومن العقابِ، ومن الشّعورِ بالنَّدمِ، هذا الشّعور الَّذي ما كنتُ أبدًا أرغبُ في أن أشعرَ به. فأنا، إلى اللّحظةِ، أعتقدُ أنَّني لَم أُخطِئْ، وأنَّه كان عليَّ أن أنتهزَ هذه الفرصةَ كي أجعلَ «راشد» يندم على أفعالِه.

هل أنا في مشكلة ؟ سؤالٌ كنتُ أودُّ أن أطرحَهُ على نفسي، قبل أن توقِفَني المعلِّمةُ، وتنتظرَ خروجَ الجميعِ لتُفاجئني بقولِها: «أنتِ

في مشكلة» . «أنا؟» ، سألْتُها باستغراب، وبثقة أجابَتْ : «نعم» .

كيف عرفَتِ المعلِّمةُ أنّني ورَّطْتُ نفسي في مشكلةٍ ؟



الفصل الخامس: عتابٌ مُتبادَل

«الأمرُ ليس كما تعتقدين»، قلْتُ بصوتٍ مرتـجفٍ. عندها قالت الـمعلِّمةُ: «إذًا، صحِّحي لي اعتقادي، وأخبريني بِـما يجري».

جلسْنا وطالَ الحديثُ بيننا ، قبل أن أُسلِّمَها هاتفَ «راشد».

وأعترفُ لكم أنّني وجَّهْتُ إليها عتبًا لأنَّ أحدًا من المسؤولين لم يلحظْ ما كان يدورُ بين الطّلابِ المستقوينَ، والطّلابِ المستضعفين. وقد شعرْتُ بألـمِها عندما عاتبَتْني بدورِها قائلةً :« غريب ، كيف أنَّنا في بعضِ الأحيانِ لا نرى العينَ الَّتي تسهرُ على سلامتِنا، ولا نَسمعُ الصَّوتَ الَّذي يَعلو حفاظًا على أمنِنا ، ولا نشعرُ بالقلبِ الَّذي يَنشرُ سلامًا حولَنا ! غريب كيف أنَّنا في كثيرٍ من الأحيانِ نفقدُ ثقتَنا بقوَّةٍ أكبرَ من قوَّتِنا، وهي قوَّةُ القانونِ، ونفقدُ إيـمانَنا بأنَّ الحقَّ الَّذي قد يَغيبُ مع المساءِ، سيُشرقُ حتمًا مع الصَّباحِ ، وأنَّ علينا أن نكونَ بانتظارِهِ لِيَمدَّنا بالقدرةِ على السَّيرِ ودائمًا : إلى الأمام ».

ترى ، هل كانت تعرفُ ما يدورُ بيننا ، نحن الطّلابَ، قبل أن أُخبرَها؟ لم يكن عندي الوقتُ الكافي لأسْألَها، فقد تأخَّرْتُ كثيرًا، وبالُ أبي المنتظرِ في الخارجِ بات مشغولاً عليَّ. وما إن استدرْتُ لأنصرفَ

حتَّى رأيْتُ أبي واقفًا خلفي. متى دخل ؟ وماذا سمع من حديثِنا ؟ وهل يَعتبرُني على صوابٍ أم على خطأ ؟ وإذا اعتبَرَني مخطئةً فأيَّ عقابٍ أستحقُّهُ ؟ أسئلةٌ كثيرةٌ خطرَتْ لي، ولكنَّ التَّحيَّةَ الَّتي تبادلَها مع معلِّمَتي أشْعَرَتْني بأنَّ هذا اللّقاءَ بينهما لم يكنِ الأولَ كما كان يُفترضُ. فأبي لم يأتِ إلى المدرسةِ هذا العام ليلتقي بـمعلِّماتي كما في كلّ عام. فأين التقيا ؟ ومتى ؟ و لماذا ؟

مشيْتُ مع أبي إلى السّيارةِ ، وقبلَ أن ينطلقَ قرَّرْتُ أن أُخْبِرَهُ بكلِّ ما كان يَجري معي. لم أكن أعرفُ مِن أين أبدأُ لذا قلْتُ له: «أفكِّرُ في تغييرِ المدرسةِ مع نِهايةِ العام. أريدُ أن أنتقلَ إلى مدرسةٍ جديدةٍ أشعرُ فيها بالأمان». عندها استدارَ نَحوي ، ونظرَ إليَّ بِحنانٍ وقال : «هل





هذا يعني أنّكِ لا تشعرينَ في مدرستِكِ بالأمان؟ ».

ــ صحيحٌ ، أنا خائفةٌ من الذّهابِ إلى المدرسةِ .

ــ علينا إذًا أن نُعالجَ المشكلةَ لا أن نَهربَ منها. ما الّذي يُثيرُ خوفَكِ ؟

ــ الطّلابُ المستقوون .

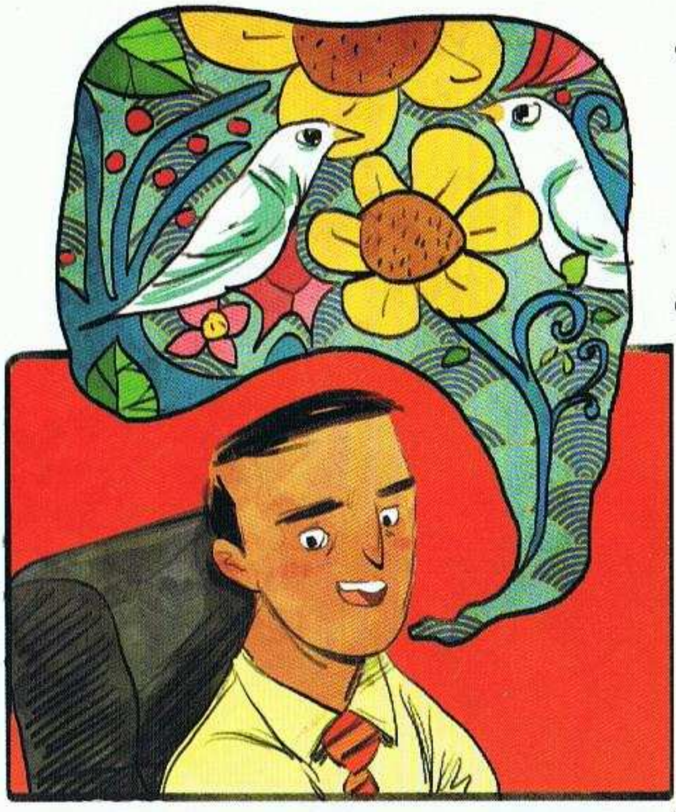
ضحكَ أبي وقالَ لي :« ألِهذا السَّببِ تُفكّرين بتغييرِ المدرسةِ مع نهايةِ العام ؟».

ــ أليس هذا من حقّي ؟ لقد علّمْتَني أنَّ للإنسانِ حقَّ اللّجوءِ إلى بلدٍ

آخرَ إذا كان خائفًا من المعاملةِ السَّيِّئةِ في وطنِهِ .

ـــ إذًا، أنتِ تُشبِّهين المدرسةَ بالوطنِ، ولأنَّكِ تشعرينَ أنَّ العدلَ لا يسودُ في مدرسَتِكم، بدليلِ وجودِ مستقوينَ ومُستضعفينَ، تُريدين الهروبَ. أليس كذلك ؟ وماذا ستفعلينَ إذا التقيْتِ بـمسْتَقوينَ في المدرسةِ الَّتي تنوينَ الانتقالَ إليها ؟

أتهربين من جديد؟



شعرْتُ بكلامِ أبي نبرةَ تأنيبٍ فالتزمْتُ الصَّمتَ. عندها قال لي :«الهروبُ حلٌّ ولكنَّ المواجهةَ حلٌّ آخر.

المواجهةُ حربٌ، وهي حلٌّ ولكنَّ المواجهةَ بسلامٍ حلٌّ آخر. وعليكِ أن تَختاري يا ملاكي».

قالَ كلماتِهِ، وصمت ، تاركًا لي وقتًا لأفكِّرَ وأختارَ.

ترى أيُّ القرارِ سأختار ؟

الفصل السَّادس: حملةُ سلام ضدَّ الاستقواء

أمضيْتُ أنا وأبي عطلةَ نهايةِ الأسبوعِ معًا ، فقد كانت أمِّي في رحلةِ عمل. وكانت العطلةُ فرصةً لنفكِّرَ معًا ، ونضعَ أهدافًا، ونرسمَ خطَّةَ التَّنفيذِ.



أوصلَني أبي بدايةَ الأسبوعِ إلى المدرسةِ. دخلْتُها واثقةً، وانتظرْتُ المعلِّمةَ. وعندما وصلَتْ جلسْنا معًا وطالَ الحديثُ بيننا للمرَّةِ الثَّانية، واتَّفَقْنا على أمرٍ كان يَحتاجُ إلى كثيرٍ من الجهد الَّذي لن أبْخلَ بتقديـمه. وعندما حان موعدُ الاستراحةِ الأولى، توجَّهْتُ إلى صديقٍ لي وصديقةٍ، وأخبرْتُهما بِـما أنوي القيامَ به، فوعدا بالمساعدةِ. وبقينا معًا نُخطِّطُ، وهكذا لن يتمكَّن«راشد» من الاقترابِ منِّي .

«راشد» ؟! أين هو ؟! إنِّي لا أراه . ومن جديد شعرْتُ بالتّوتّر. أين يكون ؟ وماذا يُخطِّط ؟ شعورٌ ما دفعَني للخروجِ من الصَّفِّ. سرْتُ باتِّـجاه مكتبِ النَّاظرةِ في نِهايةِ الممرِّ ، فإذا بِجلسةٍ تـجمع «راشد» وأمّه وأباه بالـمُرشدةِ الاجتماعيَّةِ التَّي تـجتمعُ عادَّة بالطّلاّبِ الَّذين يُعانون مشكلاتٍ، فتعقدُ معهم جلساتِ حوار، وصولاً إلى حلولٍ يُـمكنُ تطبيقُها. ولأوَّلِ مرَّةٍ شعرْتُ أنَّ «راشد» سيتغيَّرُ ، وأنَّنا جميعًا سنكونُ، في المدرسةِ ، بأمان .

عدْتُ إلى فريقِ العملِ الَّذي كان عددُ المشاركين فيه بازدياد. لقد صرْنا مجموعةً كبيرةً تعمل كخليَّةِ نَحلٍ. لكلٍّ منَّا دورٌ يقومُ به ، بانتظار العاشرِ من شهرِ كانونَ الأوّل، اليومِ العالميِّ لحقوقِ الإنسانِ .

في هذا اليومِ خرجَ الجهدُ إلى النّورِ. وتـحوَّلَ الخوفُ إلى مواجهةٍ، والصَّمتُ إلى كلامٍ. حملةٌ قمنا بِها ضدَّ الاستقواءِ والمستقوينَ. يافطاتٌ رفعناها في وجهِ مَن لا يَحترمُ القوانينَ، ورفضٌ لِـمَن لا يتعاطفُ مع الآخرينَ. كلٌّ منَّا حملَ يافطةً ودخلَ بِها من صفٍّ إلى صفٍّ. ورفعْنا الصّوت: «لِنُعامِلْ بعضَنا كما نُحِبُّ أن نُعامَلَ»، شعارُ المدرسةِ، اخترناهُ للدَّلالةِ على أنَّنا نُحبُّ بعضَنا، ونَحترمُ الكبيرَ فينا والصّغيرَ، ونتعاطفُ، ونـمدُّ اليدَ لليدِ الممدودةِ لنا، ونتبادلُ السَّلامَ. بسلامٍ نريدُ أن نعيشَ. لا للاستقواءِ. لا للضَّربِ. لا للعنفِ. لا للإساءةِ. لا للإهانةِ.



والحقيقةُ أنَّ أجملَ ما قمنا به هو أنَّنا حضَّرْنا، نحنُ طلاَّبَ السَّنة السَّادسة الابتدائيّة، يافطاتٍ للجميعِ من دون استثناء. حتَّى «راشد» دعوناه لانتقاءِ اليافطةِ الَّتي يشاء لتكونَ الرّسالةَ الَّتي يريدُ نشرَها بين الطّلابِ. «السّماح طريقُكَ إلى السّلام». شعارٌ حملَهُ «راشد» وسار



بيننا، كأنَّه بذلك قدَّمَ اعتذارًا لنفسهِ أوَّلاً، ولنا جميعًا ثانيًا ، فقد اختارَ أن يُسامحَ الَّذين ألحقوا به الأذى في الماضي، وتمنَّى أن يُسامِحَهُ الَّذين ألحقَ بِهم الأذى كي يعيشَ مع نفسِهِ وأصدقائه بسلام.

كان أبي في مكانٍ ما معنا، أخذَ إذنًا بالتقاطِ صورِ الحملةِ لنا. وعندما تَمكَّنَ في لحظةٍ من الاقترابِ منّي، شعَّ نورٌ من عينيه. كان فخورًا بي، سعيدًا بِخياري، مُشجِّعًا، مُساندًا وداعمًا لي في حضورِهِ كما في غيابِه. فكلماتُه بقيت دائمًا رفيقةَ دربي. همس لي « ملاكي»، وهمسْتُ له بقولي «سلامي». لقد جعلَني أعرفُ معنى السّلام، وأختارُهُ شعارًا لي في حياتي .

فهل توافقونني الرَّأيَ بأنَّني أحسنْتُ اتِّخاذَ القرارِ ؟

مع نِهايةِ يومِ السَّلامِ، صافحْتُ «راشد» بيدٍ ، وأعدْتُ إليه هاتفَهُ باليدِ الثَّانية. هذا الهاتفُ الَّذي بقيَ أمانةً مع معلِّمتي بانتظارِ اللّحظةِ المناسبةِ كي أعيدَهُ إلى صاحبِهِ . لم يَظهرِ الاستغرابُ على وجهِ «راشد»، كأنَّه كان بانتظارِ أن أعيدَهُ إليه. «آسفة ، لم أكن أقصدُ أن أسرِقَهُ». عندها ، مدَّ يدَهُ إلى جيبِهِ وأخرجَ رسالةَ أبي قائلاً : «آسف لأنَّني قصدْتُ ذات يومٍ أن أُزعجَكِ».



بسرعةٍ فتحْتُ الرِّسالة :

ملاكي،

أريدُ اليوم أن أعترفَ لك بسرّ . فكّري وحاولي أن تعرفيه. وإذا فشلْتِ فما عليكِ إلاَّ أن تسأليني عنه في المساء .

وحتّى نلتقي لِملاكي ألفُ تحيَّةِ سلام.

وضحكْتُ طويلاً عندما قرأتُ الرّسالةَ، إذْ لو سألْتُ والدي في مساءِ ذلك اليوم عن السِّرِّ لَما استغربَ جوابي . لقد استغربَ، كما قالَ لي فيما بعد لأنّني لم أسألْ. ونوباتُ صراخي في اللَّيلِ جعلتْهُ يقصدُ المدرسةَ، من دون علمي، ويلتقي بالمعلِّمةِ، ويُشاركُها مخاوفه عليَّ. وهي بدورِها، ومن دون أن ألحظَها، أنا أو غيري من الطّلابِ ، كانت تُراقبُ ما يَجري ، بانتظارِ أن تُعلِّمَنا جميعًا درسًا من دون اللّجوءِ إلى عقابٍ لم تكن تؤمنُ بأنَّهُ الحلُّ الأمثلُ لِما كان يَحدثُ معنا. فقد أوضحَتْ لنا فيما بعد أنَّ العقوبةَ قد توقفُ الطَّالبَ عن القيامِ بسلوكٍ خاطئٍ ، ولكنَّها حتمًا لا تُعلِّمُهُ السّلوكَ الصّحيحَ. وهي أرادَتْ لنا أن نُحسنَ التَّصرُّفَ لا خوفًا من العقوبةِ، بل إيمانًا بأنَّ السّلوكَ الحسن هو أفضلُ وسيلةٍ لبناءِ علاقاتٍ طيِّبةٍ والعيشِ بسلامٍ مع مَنْ لا يُشْبِهُنا.

السّلوكُ الحسن هو أفضلُ طريقةٍ لنكونَ كما نحن، ونكونَ مقبولين حتّى لو كنّا مختلفين وغيِّر متشابهين .

يبقى أمرانِ قبل أن أُنهيَ روايةَ ما حصلَ معي .

الأمرُ الأوّل أن أعترفَ لكم ، وللأمانةِ فقط، أنَّ أبي ، الَّذي كان على يقين أنَّني سأخبرُهُ، كان صاحبَ فكرةِ الحملةِ ضدَّ الاستقواءِ لأنَّها صرخةٌ ضدَّ الحربِ ، ودعوةٌ إلى السَّلامِ ، وهو مَنِ اختارَ تاريخَها بِما يَحملُ من المعاني ، وصاغَ الكثيرَ من الشِّعاراتِ، والأهم أنَّهُ بكلماتِه أنارَ لي الطّريقَ . طريقٌ باتِّجاهٍ واحد نَحو: السَّلام .

الأمرُ الثّاني سؤالان طرَحَهُما عليَّ أبي في طريقِ عودتنا إلى البيتِ. سؤالانِ يشغلانِ بالي إلى الآن :

لماذا يلجأ بعض الطّلابِ إلى الاستقواء ؟

وهل يستحقُّ المستقوون المساعدة أم العقاب ؟

هل أجدُ عندكم الجواب ؟

الفهرس

أنا خائفة

إذا كانَ التّعرُّضُ للأذى النّفسيِّ أو الجسديِّ من طلاّبٍ مُسْتَقوينَ مشكلةً، فإنَّ المشكلةَ الأصعبَ هي في كيفيّةِ مواجهتِه. فهل نَردُّ الأذى بأذًى أكبر بدافعِ الغضبِ أو الانتقامِ؟ أم نَلجأُ لطلبِ المساعدةِ من شخصٍ راشدٍ أو مسؤول؟ أم نصمتُ ونَهربُ سامحين للخوفِ من المستقوين أن يمنعَنا من حلِّ المشكلة؟

"أنا خائفة" قصّة عن الاستقواء والمستقوين تطرح مجموعة من الأسئلة فمن سيُجيب؟

ISBN 614-402-509-3

9 786144 025093

Book # A 628

أصالة للنشر والتوزيع